صدام حسين

العرب والدور القيادي لرسالة الاسلام











صدام حسين

العرب والدور القيادي لرسالة الإسلام

نص حديث السيد الرئيس القائد
الى رجال الدين في ٢٨/٦/١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة رجال الدين الأفاضل اهلاً وسهلاً بكم. نلتقي في هذه الأيام المباركة من هذا الشهر المبارك، شهر رمضان الكريم الذي خصه الله سبحانه وتعالى من بين ما خصه في مسألتين أساسيتين:

إنه الشهر الذي انزل الله تعالى فيه القرآن وان احدى ليالي هذا الشهر، هي ليلة القدر. . وعندما نلتقي في هذا الشهر المبارك أيها الأخوة، وشعبنا وجيشنا تحت الظروف التي تعرفون، لابد ان نستذكر بضمير حي جانباً من الدروس والعبر مما تعيننا على

مواجهة الحياة وعلى استحضار مستلزمات الايمان الصحيح.

لقد انزل الله سبحانه وتعالىٰ القرآن وضمنه رسالته الى الانسانية.. انزله علىٰ النبي الكريم محمد «صلىٰ الله عليه وسلم» الأمي وكان القرآن عربياً وبلسان عربي.. لماذا جعل الله سبحانه وتعالىٰ من أمية رسوله الكريم آية؟ ولماذا جعل قرآنه عربياً وبلسان عربي؟ بل قبل هذا لماذا جاء كل الأنبياء برسالاتهم عن رب السموات والأرض واعتمدوا في هذه الأرض الكريمة التي هي الوطن العربي؟

نحن في هذا سنتعرض الى جانب مما نرى إنه ضروري وليس الى كل الجوانب التي نراها فيما نعتقد من هذه المعاني الكريمة.

يقول الشعوبيون ان الرسل والأنبياء ولدوا وكلفوا بالرسالات في هذا المكان، اوخص بهم الله هذا

المكان، الذي هو الوطن العربي والأمة، من أجل ان يطهر نفوس هذه الأمة لكثرة ما ترتكب من رذائل. ونعني بالشعوبيين - اولئك الذين يكنون البغضاء للعرب والأمة العربية ولسداها ولحمتها - وفي هذا لا نريد ان نسترسل طويلاً بالبراهين والأدلة مما ورد في القرآن الكريم نصاً وبآيات بينات، اومما يدركه العقل والمنطق، ولكننا سنكتفي بجانب مما نريد ان نشير اليه من خلل في منطق اولئك فنقول، لوكان الدين الاسلامي ديناً للعرب وحدهم، أي لو اراد الله ان ينحصر دور الدين الأسلامي والديانات الآخرى بالوطن العربي فقط لكان بالامكان ان يكون لهذه الدعوة قدر من الأساس المنطقي، ولكن كما تعلمون، فأن الدين الأسلامي والديانات السماوية الآخرى جاءت للأنسانية جمعاء، ولم تحدد بمكان ولم يحدد الدين الاسلامي بزمان، ثم أن العرب هم الذين

حملوا الرسالات السماوية خارج الوطن العربي الى الشعوب الآخرى من غير العرب فكانوا قادة الفكر والسلاح في الدفاع عن هذه المبادىء وفي نشرها على اوسع نطاق.

اذن لقد خص الله سبحانه وتعالى العرب بهذا الدور لميزات فيهم، وعن طريقهم اراد الله ان يوصل الدعوة والرسالات الى أبعد نقطة في الأرض ولدينا استشهادات كثيرة من القرآن الكريم نفسه، تشير الى أن الدور الذي اعطي للعرب هو دور قيادي وليس كما يقول الشعوبيون «بأن الله سبحانه وتعالى، كرر الرسالات في الوطن العربي وكرر الأنبياء في الوطن العربي لخلل فيهم». ان الكثير من الأستشهادات التي استخدمت في القرآن الكريم «والتين والزيتون»، «افلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت».. الخ اعتمدت ما هو ملموس ومرئي في الجزيرة العربية وفي

الـوطن العـربي، بل وان بعض الأيـات القـرآنيـة والأحـاديث النبـويـة الشريفـة تشير بوضوح الى أن الأيـات والأحـاديث اعتمـدت جانبـاً من الأخـلاق والعادات والتقاليد التي رآها الله سبحانه وتعالى مفيدة او أن الرسول الكريم رضىٰ عنها.

فلماذا اعتمـد القـرآن الكـريم استشهـادات محددة ملموسة ومرئية وموجودة في الوطن العربي اكثر مما هي موجـودة في مكـان آخر، ولم يعتمد استشهادات آخرى من خارج الـوطن العـربي؟ يقول بعض الملحدين أن هذا دليـل علىٰ أن القـرآن الكـريم هو من وضع محمد «صلىٰ الله عليـه وسلم» وليس منـزلاً من الله تعـالى ونحن نقـول، أن هـذا الكـلام مردود هو الآخر لأن الله سبحـانـه وتعـالىٰ اراد في الاستشهـادات الـواضحـة والملمـوسـة ان يقنـع العـرب برسـالته ويرصن إيمانهم بوصفهم القـادة وعندما يصلون الىٰ المستوى المطلوب

٢٨٥٧٢٨

من الأيمان والوعي فانهم سيصبحون قادرين على القياس وان يقيسوا على هذه الأستشهادات استشهادات آخرى مما ينفعهم في اقامة الحجة القوية لصالح الأيمان. وان لا يكتفوا بما ورد من استشهادات في القرآن الكريم فحسب، وهكذا فأن عناية الله سبحانه وتعالى بالدور القيادي للأمة العربية من هذا المثال إنما لكي تصبح الأمة قادرة على أن تلعب دوراً قيادياً لدى امم الأرض جميعاً من خلال نشر دعوة الأسلام وتعاليمه وقيمه.

نعود الى جانب من الحكمة التي ارادها الله سبحانه وتعالى في أن يعتمد امية الرسول الكريم محمد «صلى الله عليه وسلم» أية هذا الجانب.وقبل الدخول المباشر في هذا لابد أن نشير الى ان البعض حتى من سليمي الغرض والنوايا يقعون في الخطأ عندما يتصورون أن العرب كانوا، عندما نزل القرآن

الكريم وعندما ارسل محمد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» نبياً الى العالمين، في ذلك الوقت يعيشون في غاية التردي حتى في حساب المقارنة مع تلك الدرجة التي تقاس على مثيلاتها من الأمم الآخرى ونقول معلقين على هذا.. أن من البديهي ان الروح قد نفخت في العرب عندما اضبحوا مسلمين.. اي أن دورهم القيادي اصبح ذا معنى انساني ورسالي عميق وشمولي في الحياة وفي الصلة بالاله.

وأن العرب في ذلك الوقت كانت فيهم ثغرات واضحة ودلالاتها قد ذكرت في القرآن الكريم.. ولكن علينا ان نتصور وان نعرف كيف كانت امم الأرض في ذلك الوقت كذلك، ورغم الثغرات والهنات الواضحة في سلوك العرب وفي تصورهم انذاك فان مرحلتهم كانت تمثل جانباً من النضج بحسابات التميز في النظرة المقارنة بينهم وبين الأمم

لذلك الوقت فكان المنطق عندهم مزدهراً وكان الأدب عنــدهم مزدهــراً ونمت في الـوطن العـربي اخصب الحضــارات وكانوا اسياد التجارة وكانوا وكانوا . . نعود الى جانب من موضوعنا ومما اردنا أن نشير اليه في امية الـرســول. أننـا نعتقد بأن الأمية كآية للرسول الكريم محمـد «صلى الله عليـه وسلم» لها معـان كثيـرة، ومن أهمها هي ان الله سبحانه وتعالى أراد أن يبعد الفرصة عمن يريـد أن يصطـاد في المـاء العكـر من المشركين، ويبعـد أي نوع من أنـواع اللبس عن المؤمنين، فنقول لوكان محمـــد «صلى الله عليـه وسلم» مثقفـاً كما كان (ورقة بن نوفل) لقال البعض بأن القرآن من وضع محمد.

وعندما نؤمن بان مصدر الديانات والرسل والأنبياء كلهـا الـه واحـد هو الله سبحـانـه وتعـالى . . وان الله سبحـانـه وتعـالى لا يجتهـد وحـاشى الله ان يجتهد في

مرحلة ثم يجتهد في مرحلة آخرىٰ خلاف ذلك وهو خالق الكون وخالق السماوات والأرض وهكذا وكما نرىٰ . أن الله سبحانه وتعالىٰ يأتي بالديانات والرسل والأنبياء تباعاً ويوقت المبادىء التي يريد نشرها واعتمادها من قبل الأنسانية مع تطور عقول وضمائر وامكانات البشر، وهكذا نرىٰ انه حتى في القرآن الكريم هنالك أيات نسخت بأيات قرآنية آخرىٰ . . . «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ» ثم تلتها الأية التي تقول «. . . إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» وجانب مهم مما جعل الله سبحانه وتعالىٰ يختار العرب لدور قيادي للأنسانية هو لأن العرب منطقيون ولأنهم قادرون علىٰ التخيل والتصور والوصول الى الأحكام العامة من خلال ظواهر صغيرة وكون الله سبحانه وتعالىٰ لا يستدل عليه باللمس أو بالرؤ ية وإنما يدرك

بالعقل ونصل اليه بالضمير المؤمن. . فقد كانت هذه الخاصية في العرب محل تكريم لهم من الله سبحانه وتعالى ومحل اعتماد عليهم لأن يكونوا اصحاب دور قيادي أمامي في نشر الرسالات.

أما لماذا القرآن عربي وبلسان عربي، فأن ما نريده في هذه المناسبة ونركز عليه بشكل أساسي هو أن اللغة كما تعرفون أيها الأخوة ليست وسيلة تخاطب وتفاهم فحسب، وإنما هي اداة وطريق تفكير، أي أن التفكير يأخذ «لون» اللغة ويتأثر بها، ولأن الله سبحانه وتعالى خص العرب بدور قيادي في هذه الرسالة، فقد أختار أن يكون القرآن عربياً وبلسان عربي، لأن اللغة العربية وحدها قادرة على أن تتبين بوضوح وبتفكير عربي وبعقلية ترى العرب بهذا الدور الذي اشرنا اليه وليس بدور معاكس وبذلك تفهم وتدرك معاني القرآن الكريم ودلالاته.

من هذا يتبين لنا جميعاً أيها الأخوة نحن العراقيين بالأضافة الى أننا جزء من المؤمنين بهذا الدور فنحن جزء من العرب الذين ينبغي أن ينهضوا بدور قيادي في أبلاغ المفاهيم والمبادىء العميقة الدلالة عن دور العرب والتي وردت في القرآن الكريم الى أبعد نقطة في الأرض ولكن هذا الأبلاغ يأتي بطريقة النموذج . . أي أن نتصرف بما يجعل المبادىء الأنسانية التي نؤمن بها مرئية من أبعد نقطة في الأرض . . وأن نتصرف بنفس الحكمة والمنطق والمبدئية التي تصرف بها أجدادنا او بنفس الأتجاه الذي تصرف به أجدادنا تجاه هذه المبادىء من قبل .

وهكذا نرى أيها الأخوة، لأننا منطقيون كما قلت، بأن ما يراه البعض حالات وظواهر تناقض في الكون نراها بأنها حالات توازن في الكون، الولادة والممات . . الليل والنهار، التراث والمعاصرة وغير

ذلك، وعلى هذا الأساس نجهد أنفسنا باستمرار لأن نكون متوازنين في نظرتنا الى الدين، وفي نظرتنا الى الحياة مستحضرين سلوك أجدادنا والمبادىء السامية لديننا الحنيف.

وهكذا ترون أن خميني الذي يدعي الأسلام يرفض أبسط مبادىء الأسلام لأنه لا يفهم الأسلام كما ينبغي، ولأنه يرفض الدور القيادي للعرب في هذا الميدان، والدور القيادي الذي اعنيه هنا ليس دور تميز بالتسلط وبالتحكم وإنما هو دور تميز بالتضحية وبالخدمة.

وهكذا فأن الله سبحانه وتعالى ميز العرب او خصهم بهذا الدور القيادي لأنه اعطاهم دوراً متميزاً بالتضحية وفي الخدمة لعموم المسلمين على طريق المبادىء.

اقول، لأن خميني حاكم ايران يرفض التفسير

العربي للمبادىء الأسلامية وبذلك يرفض دورهم القيادي في افهامه معنى الأسلام، بل وينسب لنفسه دورا قياديا في يقيننا أنه يتعارض مع جوهر المبادىء الأسلامية، أرتكب كل الأنحرافات والجرائم التي تعرفون ولكن لأننا نؤمن بالمبادىء ولأننا منطقيون لا يجوز أن يكون موقفنا موقف رد فعل تجاه تصرفات خميني وإنما علينا أن نطرق الأبواب الصحيحة وأن نسلك السلوك الصحيح ونترك عليه الأثم والخيبة في مواجهة الآخرة والحياة ونتركه ليحصر نفسه بزاوية لا يحسد عليها أمام شعبه وأمام العالم.

وفي هذا المكان لابد أيها الأخوة أن انقل اليكم تقدير القيادة العالي لجهودكم ولجهادكم في سبيل المبادىء الصحيحة من أجل أن يكون العراق على هذه المبادىء الصحيحة بعون الله.. لقد كان العراق وما زال يدا واحدة وقلبا واحدا وعقلا واحدا بل والأهم

وضميرا واحداً.

لماذا اقول أن الضمير الواحد أهم.. ؟ ذلك لأن الله اعتبره أهم وكما أفهم من القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى لم يكن يخص العقل بحالة متميزة مثلما خص الضمير بحالة متميزة.. «الله يعلم ما في الصدور».. اذن اقول ان العراقيين هم ضمير واحد ووجدان واحد والضمير هو الموجه القيادي للعقل ولأن العقل المركب على ضمير غير حي وغير مبدئي ممكن أن يكون خبيثاً.

لذلك فأن ما يهمنا الأن هو أن يتصرف العراقيون جميعا بضمير حي وباتجاه واحد وأن شاء الله لن يكتب لكم ولاجيالكم من بعدكم الا العز وبعون الله ومثلما نحن على ثقة كاملة بصواب منهجنا ومواقفنا فنحن على ثقة مماثلة ومن خلال ما نعرف تفصيلياً بأن جيشكم سيكون المنتصر دائماً وأن الأعداء الذين

يريدون الشر بالعراق سيهزمون مهما كانت الوانهم ومهما كان مكانهم ومكانتهم في الدنيا لأنهم اشرار ليس لهم مكانة صحيحة في الآخرة ونحن على ثقة كاملة بأنكم وكل العراقيين مثلما واصلتم المسيرة بهذا الجهاد وبهذه الجهود فأنكم ستواصلون المسيرة بنفس الهمة الى أن يكتب الله لكم النصر المبين بعونه تعالى على اعدائكم وتعيشون اعزاء لبلدكم وللأنسانية.

مرة أخرى اكرر اعتزازي البالغ بالعواطف النبيلة الصادقة.. وكونوا على ثقة من أنني حينما استمع اليكم والى أي عراقي وما تعبرون عنه من عواطف نبيلة وابتداء من الطفل وحتى العلماء والرجال الأفاضل من شعب العراق سواء كانوا رجال دين او في أية صفة أخرى، اقول عندما استمع اليهم والى عواطفهم تنتابني حالتان من الشعور. حالة الشعور بالغبطة لأنني انسان وعندما اسمع كلاماً يريح النفس

الأنسـانيـة فلا بد أن يسـرني هذا . . والأمـر الاخر هو الأحساس بوطأة المسؤ ولية . . الأحساس المتزايد بثقل العـواطف على كاهـلي وبثقـل الأمانة التي آمل وادعو الى الله عز وجل أن يمكننا من أن نؤ ديها كما ينبغي وبما يرضي الخير ين ومهما تكن عظمة المسؤ ولية وصعوباتها فأننا وبعون الله سنؤ دي هذه المسؤ ولية وسط دعمكم واسـنـادكـم ودعم واسنـاد الشعب . . هذا الشعب الكـريم العـزيـز . . بعـون الله سنؤدي المسؤ ولية كما ينبغي وبـما يسـر الصـديق ويغيـظ العدو. حياكم الله وحفظكم . . تحياتي الى اهلكم والى اقربائكم واتمنى لكم العز دائماً والتوفيق وفي امان الله .

★★★★★

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٨٠
لسنة ١٩٨٣